دار الإمام في جامع سامراء الكبير

الباحث: احمد عباس حسين أ. د. قاسم حسن آل شامان السامرائي
جامعة سامراء – كلية الآثار

Abstract

The Great Mosque of Samarra or so-called Al-Malawiya is distinguished by may institutions belong to it, in order to meet the rising up of needs in its functions. One of these institutions is (Imam's Chamber) which has been taken as a home and settlement for the Imam of Mosque, so that he can be there are all the time, specially in the five prayers.

Imam's Chamber exists in the north side of the wall of Great Mosque and next to the sanctuary. I has an entry to Mosque near to the sanctuary and rostrum.

It has been detected about the bases of Mosque in prospections in 2002. These prospections shoued the major bases and other details.

In our research, It has been depended on the reports of those prospections as well as field detections.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد.

يمتاز الجامع الكبير في سامراء أو ما يعرف بجامع الملوية بوجود عدة منشآت ملحقة به، وذلك تلبية للحاجة المتنامية في وظائفه، ولعل من بين تلك المنشآت (دار الإمام) والذي أُتخذ سكناً ومستقراً لإمام الجامع لكي يكون موجوداً ومواظباً على إمامة الناس في صلواتهم الخّمس.

يقع دار الإمام في الجهة الشمالية لسور الجامع الكبير لصق السور وعلى مقربة من المحراب وله مدخل على الجامع قرب المحراب والمنبر.

تم الكشف عن أسس الجامع في تنقيبات عام ٢٠٠٢، إذ أظهرت التنقيبات معظم الأسس والتفاصيل الأخرى، وقد تم الاعتماد في بحثنا على تقارير تلك التنقيبات، فضلاً عن الزيارات الميدانية.

وقد تناولنا في المبحث الأول وصفاً لسامراء وجامعها الكبير وبعض تفاصيل هذا الجامع الذي يُعد أكبر مسجد جامع في العالم الإسلامي والذي تبلغ مساحته (٣٨,٠٠٠م^{٢}).

أما المبحث الثاني فأخذنا في تفاصيل دار الإمام وما فيه من مداخل وغرف ومرافق الخدمات الأخرى والذي سيجد القارئ تفاصيلها في ثنايا البحث.

والله نسأل أن نكون قد وفقنا الله في إعطاء صورة مقبولة عه هذه الجزئية من عمارة سامراء العباسية آملين الرضا والقبول، والله من وراء القصد.

المبحث الاول

سامراء وجامعها الكبير

مدينة سر من رأى بنيت لتكون عاصمه للخلافة العباسية وقد أورثت مدينة سر من رأى العباسية الكثير من العمائر والعناصر المعمارية الى جميع مدن ودول العالم الإسلامي في شكل البناء والزخرفة والهندسة المعمارية تقع مدينة سر من رأى على الضفة اليسرى لنهر دجله ،ولقد شيدت مدينه سامراء الحديثة على هامش العاصمة العباسية في تلك الفترة (سر من رأى)[١].

إن العمارة في سر من رأى قد احدثت طفره نوعية بين العمائر والفنون العربية الاسلامية وكانت ايذانا بظهور اشكال العمارة والفنون العربية الإسلامية في مصر، إن عمرانها قد احدث ثوره جديده في الانفراد والتطور في الفن العربي الاسلامي في شكل ونواحي متعددة [٢].

بدء بتأسيس مدينة سر من رأى الخليفة العباسي المعتصم بالله سنه ٢٢١هـ / ٨٣٥ م وبلغت ازدهارها وعزها خلال حكم الخليفة المتوكل على الله من سنه (٢٣٢-٢٤٧ هـ /٨٤٦-٨٦١ م) [٣] لكن مدينه سر من رآى تركها العباسيين عندما هجرها الخليفة المعتمد على الله سنه ٢٧٩هـ /٨٩٢م واعاد مقر الخلافة العباسي الى بغداد[٤].

وبنى المعتصم في هذه المدينة القصور والدواوين وثكنات الجيش وقطع القطائع للقواد وبنى فيها القصور الفخمة وبنى الخليفة أول مسجد جامع وخط قصره المعروف بقصر المعتصم او (الجوسق الخاقاني) واكمل الواثق والمتوكل ما بدأه والدهما[٥].

يعتبر المسجد الجامع في سامراء من اهم الأبنية الاثرية من حيث الضخامة والسعة حتى كان موازياً للجامع الاموي في دمشق، ويذكر إن بناءه جاء على أنقاض الجامع الذي شيده المعتصم بالله[٦]، وذلك لعدم سعة الأخير للمصلين فلقد ضاق على الناس[٧].

تبلغ مساحة الجامع (٣٨,٠٠٠م^{٢}) وهو يشغل مساحة مستطيلة الشكل يبلغ ابعادها (٢٤٠× ١٥٦م) يحيط بها جدران سميكة مشيدة من الاجر الأحمر ويبلغ سمكها(٢،٦٥م) وارتفاعها (١٠) أمتار ونصف ومزودة بأبراج نصف دائرية ضخمة يزيد قطرها على ثلاث أمتار ونصف ويبعد كل برج عن الاخر بحدود(١٥م) ويبلغ عددها(٤٤) برجاً، منها مستديرة في الأركان، (١٢) برجاً في كل من الجدارين الشرقي الغربي وثمانية أبراج في كل من الجدارين الجنوبي والشمالي[٨]، ويقع المحراب في منتصف الحائط الجنوبي وهو ذو تجويف مستطيل ويحيط جوانبه أعمدة رخامية وردية بقواعد وتيجان، والباقي من المحراب زين بالفسيفساء المذهبة[٩].

وللجامع سبعة عشر مدخل ونافورة في وسط صحن الجامع قاعدتها مبنية بالآجر ومدهونة بالقير وحوضها ذو قطعة حجرية واحدة محيط دائرتها ٢٣١ ذراعاً وارتفاعها(١٧) ذراع، وسمكها نصف ذراع[١٠]، وقد حملت هذه النافورة المعروفة (بقصعة فرعون) من سر من رأى ونقلت إلى بغداد قبل سنة(٦٥٣هـ) ثم تكسرت[١١].

المبحث الثاني

بيت الامام او دار استراحة الامام

يقع دار استراحة الامام في القسم الجنوبي من جامع الملوية بين السورين الاول سور جامع الملوية والسور الثاني الخارجي خلف محراب الجامع, ويفضي اليه بابين او مدخلين يقعان على جانبي المحراب من الشرق والغرب. بلغت مساحة بيت الامام ٤١ متر من الشمال الى الجنوب و ٤٠×٥٦ من الشرق الى الغرب[١٢].(الشكل١)

ان اغلب جدران غرف وقاعات دار الامام لم يتبقَ من جدران قسم من غرفها سوى اجزاء يتراوح ارتفاعها بين ٥٠-١٠٠ سم، (الشكل٢) بنيت من خليط من كسر آجر وتراب و كسيت اوجهها بالجص، وهي الواقعة بالجزء الجنوبي الشرقي من دار الامام اما الجدران الاخرى لباقي الغرف فلم يبقَ منها سوى اسافلها حيث ان الجدران الاصلية المبنية بالطابوق قد تم ازالتها. وفي بعضها لم يبقَ منها سوى الجص الذي وضع على الارض البكر لتثبيت الآجر به حيث ان جميع آجر الاساس قد هدم[١٣].

من كل هذا يتبين ان بيت الامام يتألف من ثلاثة اقسام هي:

القسم الاوسط:

يعد القسم الرئيسي في بيت الامام والذي تبلغ ابعاده ٢٦X٢٩ م[١٤] و يمثل على اغلب الاعتقاد الجزء الذي كان يستريح فيه الخليفة وحاشيته قبل بدء وقت الصلاة [١٥]. (الشكل٣)

يتوسط هذا القسم الاوسط ساحة مكشوفة بلطت ارضيتها بالآجر الفرشي قياس ٢٨X٢٨X ٥ سم (الشكل٤) تحيط بالساحة مجموعة من الغرف والاواوين بلغ عددها ١٤ غرفة وايواناً مختلفة الأبعاد والقياسات وزعت على الجوانب الثلاثة الشرقية والغربية والجنوبية للساحة الوسطية[١٦]. فالجهة الشرقية للجزء الاوسط ضمت ايوانا مفتوحاً على الساحة المكشوفة ترتفع ارضيته حوالي ٢٥سم عن ارضية الساحة المكشوفة والغرف المجاورة له. يجاور الايوان من الشمال غرفة كبيرة لهذه الغرفة مدخلان احدهما يرتبط بممر ويتصل بالمدخل الرئيسي لبيت الامام والثاني ينفتح على الساحة الوسطية المكشوفة. اما من الجنوب فتجاور الايوان ثلاث غرف

مختلفة القياسات انفتحت الغرفة بمدخل على الساحة الوسطية اما الغرفة الاخرى ففتح لها مدخلان احدهما هو الذي في الجدار الغربي ينفتح على ايوان مجاور لهذه الغرفة اما الذي في الجدار الجنوبي فيؤدي الى الغرفة التي تكون متداخلة وجدت في احدى الغرف الجنوبية دكتان قليلة الارتفاع لا يبلغ ارتفاع الواحدة منها اكثر من ١٠ سم [١٧]، (الشكل٥).

ان الغرف التي كانت على الاغلب تستخدم لتجديد وضوء الامام فيها، تقع في الجانب الغربي من الدار فلربما استخدمت لتبديل ملابسه وزينته وعطوره[١٨]. (الشكل٦).

ايوان الدار

الجزء الاوسط اي الساحة المكشوفة لهذا البيت و تطل عليها في الجهة الجنوبية ثلاثة ابنية, الاوسط منها يمثل ايواناً كبيراً ينفتح على الساحة الوسطية المكشوفة اما الاخرين على يمينه ويساره فيمثلان ايوانين صغيرين ينفتحان على الساحة المكشوفة ايضاً. وهذه الابنية الثلاثة تمثل النظام الحيري المعروف في نظام الابنية الاسلامية اي هما (الصدر والكمين) وهو الطراز السائد في عمارة سامراء العباسية[١٩]. تفضي الاواوين الصغيرة الى غرفتين تقع خلفهما بواسطة مدخل لكل غرفة كما ان الايوان الصغير يتصل بالإيوان الكبير بواسطة مدخل صغير[٢٠].

إن هذه الوحدة البنائية لهذا الجزء ربما استخدمت لجلوس الامام و حاشيته عندما يحضر للصلاة. وفي الجهة الغربية للجزء الاوسط تطل على الساحة المكشوفة مجموعة من الغرف المتجاورة تأخذ بالامتداد من الشمال الى الجنوب مع طول الساحة المكشوفة ذات مساحات مختلفة خلت من ايوان وسطها وقد انفتحت ثلاثة منها على الساحة المكشوفة بمداخل صغيرة فيمكن الوصول اليها بواسطة مدخل صغير من الغرفة ذاتها[٢١]. (الشكل٨)

اما الجهة الشمالية للساحة المكشوفة فقد خلت من الابنية سوى جدار يمتد من الشرق الى الغرب, يفصل بيت الامام او دار استراحة الامام عن حرم الجامع, وينفتح على حرم الجامع بمدخلين يقابل كل مدخل من هذين المدخلين احد مداخل الجامع الرئيسية اللذين يقعان على يمين ويسار المحراب. كان الامام على الارجح يخرج منهما ليصعد الى المنبر حتى لا يجتاز رقاب المصلين و ليلقي الخطبة ويأم الناس في الصلاة[٢٢].

القسم الثاني من بيت الإمام

هو القسم الشرقي الذي يفصله عن القسم الاوسط جدار طويل يمتد من الشمال الى الجنوب يتألف هذا القسم الثاني ايضا من ساحة وسطية مكشوفة بلطت ارضيتها بالآجر الفرشي تتوسطها مسطبة تقع في وسط الساحة تقريبا استخدمت للجلوس عليها. (الشكل٩) تطل على الساحة الوسطية المكشوفة من الشمال ثلاث غرف و تنفتح عليها بثلاثة مداخل كل مدخل لغرفة

من الغرف ويتصل هذا الجزء بالممر و المدخل الرئيسي لبيت الامام بمدخل صغير فتح في وسط الغرف في جدارها الشمالي, وعن طريق هذا المدخل يمكن الدخول والخروج الى الخارج لهذا الجزء[٢٣]. (الشكل١٠)

تناظر هذه الغرف الثلاثة من الجنوب ثلاث غرف ايضاً وهي اكبر مساحة في الغرف الشمالية تنفتح هذه الغرف الثلاث بثلاثة مداخل مدخل لكل غرفة على ممر او طرمة تتقدم الغرف الثلاث لينفتح هو الاخر على الساحة المكشوفة بثلاثة مداخل كل مدخل يقابل مدخل من مداخل الغرف الجنوبية[٢٤].

القسم الثالث من بيت الامام

وهو القسم الغربي يتألف هو الاخر ايضاً من ساحة وسطية مكشوفة بلغت مقاساتها ١٣X١٣م، بني هذا الجزء بشكل متناظر للجزء الشرقي من بيت الامام. فالساحة الوسطية المكشوفة تطل عليها من الشمال ثلاث غرف وتنفتح عليها بثلاثة مداخل مدخل لكل غرفة. وتتصل احد هذه الغرف بغرفة واسعة المساحة تجاورها من الشمال وتفصل هذا الجزء عن جدار الجامع[٢٥].

تناظر الغرف الشمالية ثلاث غرف تطل على الساحة المكشوفة من الجهة الجنوبية و تنفتح على ممر او طرمة ايضاً كما هو الحال في الجهة الشرقية بثلاثة مداخل كل مدخل لغرفة من الغرف وينفتح هذا الممر على الساحة المكشوفة بثلاثة مداخل كل مدخل يقابل غرفة من الغرف ومدخلها[٢٦].

تصريف المياه ونقله في الدار

وجد في احدى غرف القسم الاوسط مجرى ماء كان يصرف مياه الامطار التي تسقط على سطح الدار بواسطة مزريبين ينزلان مع الجدار ليوصله الى المجرى الذي كانت حافته تبدأ من حافة الجدار الفاصل بين الغرفتين[٢٧].

وجد في إحدى غرف القسم الثاني من الدار على بالوعة تصرف مياهها من الغرفة المجاورة لها في الجزء الاوسط بمجرى يعبر من اسفل الجدار الفاصل[٢٨]. (الشكل١١)

ان استخدامات هذا الجزء أو الغرض الوظيفي له ربما استخدم لسكن من يقومون بالخدمة والحراسة للخليفة والدار او لوضع اثاث و حاجات و لوازم ما يحتاجها الخليفة، كما احتوت إحدى الغرف الواقعة في القسم الثالث من الدار على بالوعتين لتصريف المياه احداهما لمياه الامطار الساقطة على سطح الدار كما وجدت في احدى الغرف المجاورة لها مجرى مائي[٢٩]، وفي الوقت الحاضر لا توجد إلا فقط بالوعة واحدة على ما يبدو ان البالوعة الاخرى قد طمرت من تراب التنقيب او ردمت بمرور الزمن، فالأمر بحاجة الى تنقيب[٣٠]، (الشكل١٢).

ان هذا الجزء على اغلب الظن كان مستخدماً للأغراض الخدمية المختلفة في الدار فيما يتعلق بالطبخ والمشروبات و المأكولات وغيرها, حيث ان هذا الجزء من الدار كان يتصل بالجزء الاوسط بواسطة مدخل ينفتح على غرفة ترتبط الاقسام الثلاثة المؤلفة لبيت الامام الاوسط و الشرقي و الغربي مع بعضها من الجهة الجنوبية بممر طويل و عريض و لربما كانت هناك مداخل تطل على هذا الممر من بيت الامام ولو بمدخل واحد على اقل احتمال(٣١).

تم العثور في هذا الممر على بئر للماء يقع في القسم الغربي منه وجد في داخله بقايا لحب ماء مكسر استخدم لتوفير المياه الصالحة للشرب لبيت الامام كما ان هذا الممر يفصل بيت الامام عن سور الجامع الخارجي الثاني(٣٢).

الخاتمة

١- قدت مدينة سر من رأى العباسية الكثير من العمائر والعناصر المعمارية الى جميع مدن ودول العالم الإسلامي في شكل البناء والزخرفة والهندسة المعمارية.

٢- يقع دار الامام في القسم الجنوبي من جامع الملوية بين السورين الاول سور جامع الملوية والسور الثاني الخارجي خلف محراب الجامع.

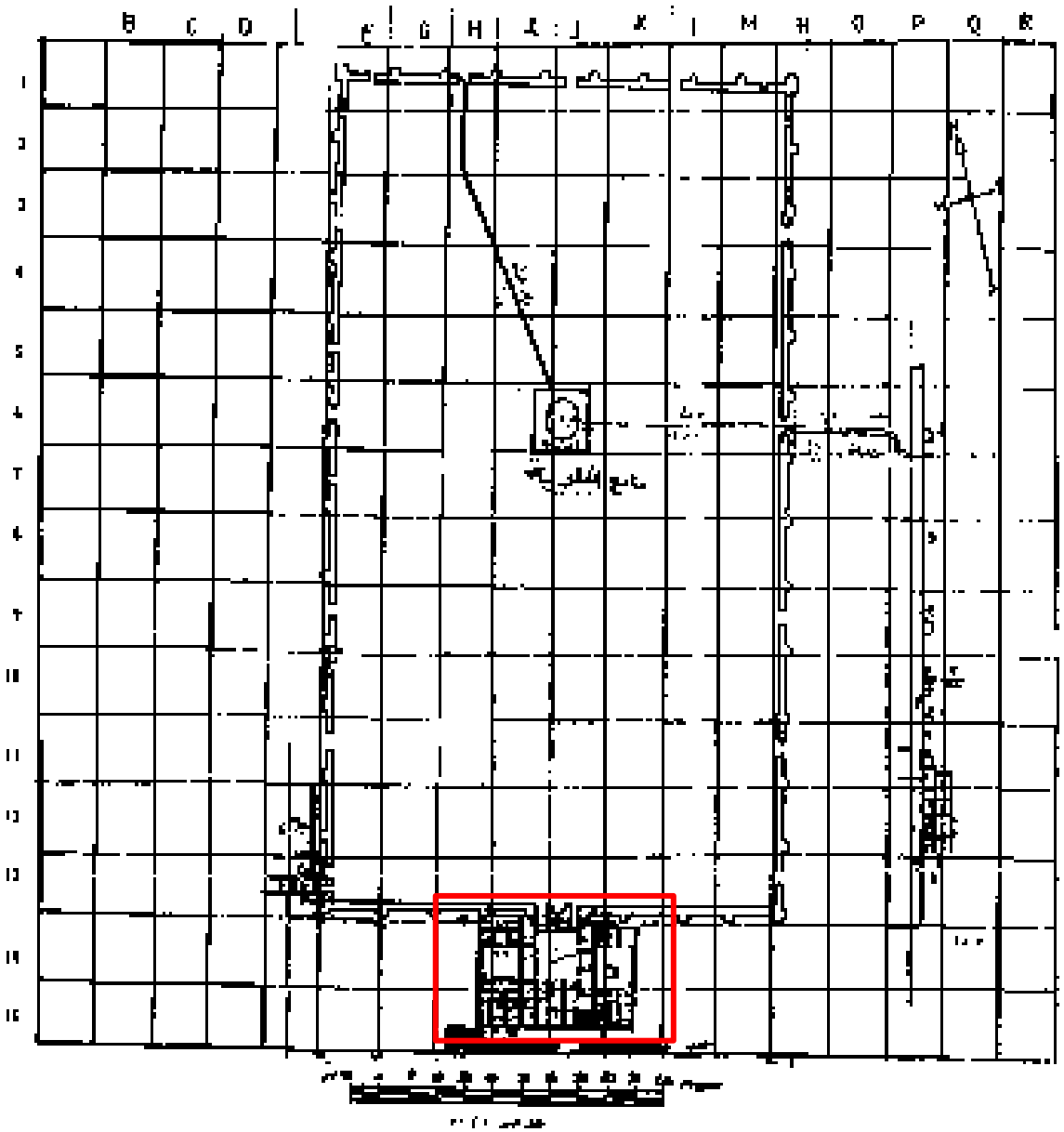
٣- للدار مدخلين يقعان على جانبي المحراب من الشرق والغرب.

٤- ان اغلب جدران غرف وقاعات دار الامام لم يبق من جدرانها سوى اجزاء يتراوح ارتفاعها بين ٥٠-١٠٠سم.

٥- كسيت ارض الدار بالآجر الفرشي المربع .

٦- يعتمد طراز البناء في الدار على الطراز الحيري، والذي اضحى سمة من سمات العمارة في سامراء العباسية.

٧- للدار نظام تصريف مياه عن طريق قنوات تحت الارض ومزاريب على الجدران، كذلك تم العثور على بالوعات.



الشكل ١

مخطط جامع سامراء الكبير ويظهر في الجهة الجنوبية (جهة القبلة) مخطط دار الامام السامرائي، تنقيبات جامع الملوية، مجلة سومر، مج٥٢، (بغداد، ٢٠٠٣)، ص٨٨.



الشكل ٢ (تصوير الباحث)



الشكل ٣ (تصوير الباحث)



الشكل ٤ (تصوير الباحث)



الشكل ٥ (تصوير الباحث)



الشكل ٦ (تصوير الباحث)



الشكل ٧ (تصوير الباحث)



الشكل ٨ (تصوير الباحث)



الشكل ٩ (تصوير الباحث)



الشكل ١٠ (تصوير الباحث)



الشكل ١١ (تصوير الباحث)



الشكل ١٢ (تصوير الباحث)

هوامش البحث:

ملاحظة: سأذكر هنا معلومات كاملة عن المصادر والمراجع عند ذكرها لأول مرة مما يغنينا عن اعداد جريدة للمصادر والمراجع.

(١) العميد، طاهر مظفر، العمارة العباسية في سامراء في عهد المعتصم والمتوكل، كلية الآداب، جامعه بغداد ١٩٧٦ ، ص١٢٠.

(٢) الياور، طلعت رشاد، العمارة الاسلامية في مصر، مطبعه وزاره التعليم العالي بغداد، ١٩٨٩، ص٦٣.

(٣) المقدسي، شمس الدين ابو عبد الله بن محمد بن احمد، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط٢، ليدن، ١٩٠٦، ص١٢٢.

(٤) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، مصر، ١٩٦٦، ص١٧.

(٥) محمد ، غازي رجب ،العمارة العربية في العصر الاسلامي في العراق ،(بغداد- ١٩٨٩)، ص١٣٧ .

(٦) الخربوطللي، شكران واخرون، الحضارة العربية الإسلامية آثار وفنون، مشورات جامعة دمشق، (دمشق، ٢٠٠٧- ٢٠٠٨)، ص٨٥.

(٧) اليعقوبي، احمد بن إسحاق بن واضح (ت: ٢٩٢)، البلدان،(بيروت – دار الكتب العلمية، ٢٠١٠)، ص٣٣.

(٨) العميد، طاهر مظفر، عمارة سامراء في عهد المتوكل، مجلة سومر، العدد ٤، ص١٩٥.

(٩) التوتوتجي، نجاة يونس، المحاريب العراقية منذ العصر الإسلامي إلى نهاية العصر العباسي، (بغداد- ١٩٧٦)، ص٧١.

(١٠) اليعقوبي، البلدان ص٢٦٥.

(١١) ابن الفوطي، كمال الدين ابي الفضل (ت: ٧٢٣هـ)، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، دار الكتب العلمية، (بيروت، ٢٠٠٣)، ص٢١.

(١٢) السامرائي، اسماعيل محمود احمد، تنقيبات جامع الملوية، مجلة سومر، مج٥٢،(بغداد، ٢٠٠٣)، ص٤٨١.

(١٣) استناداً للدراسة الميدانية التي اجريتها على الموقع بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٤، من الساعة الرابعة الى الساعة الخامسة عصراً.

(١٤) السامرائي، تنقيبات جامع الملوية، مجلة سومر، ص٤٨١.

(١٥) استناداً للدراسة الميدانية التي اجريتها على الموقع بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٤، من الساعة الرابعة الى الساعة الخامسة عصراً.

(١٦) القيسي، ربيع، جامع الجمعة في سامراء، مجلة سومر، مج ٢٥،(بغداد، ١٩٦٩)، ص١٥٣

(١٧) السامرائي، تنقيبات جامع الملوية، سومر، ص٤٨٢,

(١٨) استناداً للدراسة الميدانية التي اجريتها على الموقع بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٤، من الساعة الرابعة الى الساعة الخامسة عصراً.

(١٩) نشرة مديرية الآثار العامة، حفريات سامراء، بغداد، ١٩٧٤، ص ٢٧.

(٢٠) السامرائي، تنقيبات جامع الملوية، مجلة سومر، ص٤٨٢-٤٨٣.

(٢١) استناداً للدراسة الميدانية التي اجريتها على الموقع بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٤، من الساعة الرابعة الى الساعة الخامسة عصراً.

(٢٢) العميد، طاهر مظفر، عمارة سامراء العباسية في عهد المتوكل ، مجلة سومر , ج٣٢, (بغداد، ١٩٧٦), ص٢٠٤-٢٠٥، استناداً للدراسة الميدانية التي اجريتها على الموقع بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٤، من الساعة الرابعة الى الساعة الخامسة عصراً.

(٢٣) استناداً للدراسة الميدانية التي اجريتها على الموقع بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٤، من الساعة الرابعة الى الساعة الخامسة عصراً.

(٢٤) القيسي، ربيع، جامع الجمعة في سامراء، ص١٥٣.

(٢٥) القيسي، ربيع، جامع الجمعة في سامراء، ص١٥٣. وهو يتطابق مع الدراسة الميدانية التي اجريتها على الموقع بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٤، من الساعة الرابعة الى الساعة الخامسة عصراً.

(٢٦) القيسي، ربيع، جامع الجمعة في سامراء، ص١٥٣. السامرائي، تنقيبات جامع الملوية، سومر، ص٤٨٣.

(٢٧) السامرائي، تنقيبات جامع الملوية، سومر، ص٤٨٣.

(٢٨) استناداً للدراسة الميدانية التي اجريتها على الموقع بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٤، من الساعة الرابعة الى الساعة الخامسة عصراً.

(٢٩) السامرائي، تنقيبات جامع الملوية، سومر، ص٤٨٤.

(٣٠) إستناداً للدراسة الميدانية التي اجريتها على الموقع بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٤، من الساعة الرابعة الى الساعة الخامسة عصراً.

(٣١) إستناداً للدراسة الميدانية التي اجريتها على الموقع بتاريخ ٢٠١٧/٣/١٤، من الساعة الرابعة إلى الساعة الخامسة عصراً.

(٣٢) السامرائي، تنقيبات جامع الملوية، سومر، ص٤٨٤.